مجلة الإحياء، المجلد: 20، العدد: 25، جوان 2020، ص - ص: 09-36
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

التوسع الدلالي وتعدد المعنى في ألفاظ القرآن وعلاقته بالإعجاز القرآني

د/عمار قرفي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة باجي مختار عنابة
guerfiamar02@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/03/18 تاريخ القبول: 2020/06/16

الملخص:
لقد درست ظاهرة الإعجاز في تراثنا العربي ونالت اهتمام الدارسين من لغويين ومتكلمين وفقهاء ومفسرين، إلا أن فهمهم للإعجاز تركز على الجانب اللغوي وهو السمة الأبرز والأعم في القرآن كله، وجاء هذا المقال ليهتم بجانب الإعجاز الدلالي في القرآن، وهو الجانب الذي أغفل في الدراسات اللغوية القديمة، فالدلالة القرآنية تمتلك إشعاعا يساعد على تمديد المعنى القرآني والتوسع فيه حتى يستوعب القرآن جميع مناحي الحياة وشتى مجالاتها.
الدلالة القرآنية وضعت بطريقة معجزاتية فريدة والغرض منها أن ينفذ القرآن إلى كل العصور لإخضاعها لسلطته.
الكلمات المفتاحية : القرآن، الإعجاز القرآني، الدلالة، الدلالة القرآنية، الدراسات اللغوية.

Abstract:
The phenomenon of I'djaz has been studied in our Arab heritage and has aroused the interest of linguists، philosophers، jurists and exegetes، but their apprehension of this phenomenon has concentrated on the linguistic side، as it constitutes the Dominant character throughout the Qur'an. In this paper we have focused on the semantic side of ijaz in the Qur'an، which has been discarded in ancient linguistic studies، since the Qur'anic meaning includes radiation that helps extend this meaning and 'Widen so that the Qur'an encompasses all areas of life and all its sectors.

The Qur'anic meaning was uniquely crafted، so that the Qur'an could be perennial during all eras and subject to its authority and domination.
Key words: linguistic studies - Quran - i'djaz Koranic - meaning - Koranic meaning.

المقدمة:

اهتم القرآن الكريم باعتباره نصا روحيا وتشريعيا بتوسيع المعنى وإعادة إنتاج العبارة ببراعة فنية فائقة وبحذق وهندسة وتصميم إعجازي.

وكأن هذا الإجراء الأسلوبي الذي شمل النص القرآني يهدف إلى إيجاد ائتلاف بين معاني القرآن وبين قمة الإنتاج المعرفي والعلمي والأدبي والمادي والثقافي الذي سيبدعه الإنسان في مراحل تطوره في دورة الحضارة.

إن القرآن وهو يشق طريقه عبر الزمن ليوجه الحضارات، ويقيد الإنسان بالقيم التي اختارها له الله عز وجل أعطى للصيغة التعبيرية أهمية بالغة.

وكان شأنه في ذلك شأن الأدب الحي الذي تتوفر فيه الأسس الفنية والجمالية المؤثرة التي تسلب النفس وتشبعها بالقيم والمفاهيم والأنظار التي أراد الله أن يؤسسها في الحياة وينساق البشر إليها عاطفيا وعقليا.

يقول السيد قطب: «من خصائص الأدب الحي أن يمنحنا القدرة على الانفعال به، ولو كان أسمى من مشاعرنا الخاصة، لأنه يستطيع أن يرفعنا إليه ولو لحظات، وأن يخرجنا من قيد اللحظة الحاضرة، في حياتنا كذلك، ويصلنا بنبع الحياة، الساري وراء اللحظات المفردة والأحداث المحدودة، ويضيف إلى أعمارنا وإلى أرصدتنا الخاصة من الحياة آمدا وآفاقا أكبر وأوسع من حياة الأفراد في جيل من الزمن»[1].

ولقد اعتمد النص القرآني على الخصائص الأدبية وارتفع بها إلى درجة السمو المعجز الذي يجعل العالم البشري في القرآن عالما متحركا، تلمس فيه مشاهد ونماذج بشرية تحمل طابع التكرار، وصفة الديمومة في كل آن من الزمن «لأنه يستوعب تجارب ناضجة، خصبة، حية، ومعاني عميقة سامية، وتعاليم موجهة موحية»[2].

لقد اعتمد القرآن هذا الأسلوب البياني الرائع لأنه كتاب موجه إلى الإنسان؛ أي أنه جعل الإنسان مركز اهتمامه، ومحور توجيهاته، فأراد أن يرسم في أذهاننا صورة ذلك الإنسان النموذج المثالي بالصورة التي ينفعل بها كل جيل من أجيال البشرية التي ستأتي من بعد، لأن الإنسان في أصله وجوهره يمثل نمو العالم وعمرانه وازدهاره ودماره وخرابه وانهياره، وصلاحه وفساده.

وإنه وإن خلا الوجود من هذا الإنسان المثالي الذي يبني ويعمر، ويصلح ولا يريد الفساد والهلاك لهذا العالم فإنه صورته المثالية النموذجية ستبقى في القرآن حية موجودة.

ومن أجل تقديم صورة الإنسان في أرقى نموذج مكتمل سعى القرآن إلى اختيار الألفاظ والعبارات والتراكيب والأساليب ما يجعل هذه الصورة في العصور النموذج الذي لا يضاهى ولا يشابه، وبالفعل إن نموذج الإنسان الذي قدمه القرآن، لم يصل إلى مستواه الإنساني المكتمل في كل الحضارات التي ظهرت في التاريخ إلى يومنا هذا.

يقول الحكيم الصيني "الاوتسي": «إن من يمت دون أن يفنى هو صاحب الحياة الأبدية»[3]؛ «وهكذا صورة الإنسان في القرآن»[4].

إن صورة الإنسان الكامل، و النموذج الفذ في القرآن و هو الإنسان الذي جاء القرآن لإيجاده وبعثه في هذه الحياة تتجلى في ثنايا الأساليب البلاغية المتنوعة التي تفوق القرآن في توظيفها.

إن مهمة البلاغة في القرآن ليس التأثير النفسي على المتلقي فحسب، وإنما الهدف منها: تبيين مقاصد القرآن وحكمته في التدرج بالإنسان من أجل الارتقاء به إلى درجات الكمال في كل شيء ومن المؤكد أن هذا العمل يتطلب تحريك أدوات اللغة و أجهزتها وإمكانياتها البلاغية لتتمدد في فضاء الحياة وتقدم عروضا محسوسة لكل عناصر المشهد الموصوف المتاحة للإنسان.

ما دام الإنسان هو إنسان الحضارة التي يوجد فيها بتكوينها التربوي والمعرفي، وبتركيبتها الفكرية والثقافية، وبأشكالها المادية المختلفة، فقد اختار القرآن اللفظ المناسب و العبارات الوافية كي يتصل بكل تلك الحضارات و يهيمن عليها ثم يوجهها بما يحقق هدف القرآن وهو أن يرتق بالإنسان إلى قمة الكمال ويتدرج به في سلم القيم حتى يصل به أعلى درجاتها.

وإن الكلمات و الألفاظ التي رسم من خلالها القرآن جميع أنماط السلوك الأخلاقي و الروحي في إطار بناء الإنسان الفرد والإنسان المجتمع مأخوذة كلها من اللغة العربية التي نزل بها القران، و أظهر من خلالها إعجازه، فنحن عندما نتحدث عن مواصفات اللغة العربية في التراث فإننا في الحقيقة نتحدث

عن معجزة القرآن الخالدة ومن خصائص هذه اللغة التي تجسدت فيها هذه المعجزة خاصية تدفق المعنى في كلماتها وألفاظها، وهو ما جعل القرآن رسالة تصل إلى كل الأجيال والعصور مفتوحة أمام العقل البشري و كل مستويات الحضارة.

ومن أجل هذا أبرزت هذه الإشكالية، وهي ما مدى اهتمام علماء العربية والدراسات القرآنية بهذه الخاصية، وإدراجها ضمن مباحث إعجاز القران؟

1- الغلاف اللغوي والأسلوب البياني في القرآن: القرآن وهو الرسالة الإلهية، يحمل مشروعا إلهيا إلى الإنسان، ينطلق أساسا من تأسيس قناعات ينطلق منها في بناء الحضارة، وتلك القناعات حتى تكون قوية في النفس البشرية لا بد أن تقدم في شكل صياغة لغوية مؤثرة، وتعبير أسلوبي جذاب وساحر، ومن أجل هذا اختار القرآن طريقة تعبيره، ليكون تأثيره على الأنفس قويا في صورة شعرية أدبية موحية؛ لأن الغرض من العمل الأدبي «هو التعبير والتصوير والتوصيل»[5].

ولقد استخدم القرآن مجموعة من الوسائل المؤثرة و الفعالة من أجل توصيل مقاصده و غاياته إلى الإنسان، وأبرز تلك الوسائل التعبير الأدبي، لأن تأثيره في نفس الإنسان سريع وفعال وبليغ.

يقول السيد قطب: "هناك طريقتان للتعبير عن المعاني: الأولى الطريقة التجريدية إذ المعاني تخاطب الذهن والوعي وتصل إليها مجردة من ظلالها الجميلة، أما الثانية فهي الطريقة التصويرية وهي التي يعبر فيها عن المعاني بصورة محسوسة مشخصة تبدو للقارئ وكأنها شريط يتحرك أمام عينيه إذ يخاطب الحس والوجدان، وتصل إلى النفس، من منافذ شتى، من الحواس بالتخيل ومن الحس عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء و الأضواء"[6].

وكان اعتماد القرآن على الأساليب الأدبية الراقية الغرض منها هو تحقيق النجاح في التوغل داخل النفس البشرية التي هي زاد القرآن، ولكي تنصاع النفس البشرية طواعية دون قصر وإكراه إلى توجيهات القرآن لا بد أن تنقاد

وهي مستسلمة إلى عذوبة أسلوبه، وسحر بيانه، وسمو موضوعاته، وإعجاز بلاغته.

قال آبركرمبي: «إنه كلما عظم الإلهام، تطلب قوة فنية أعظم لكي تعبر عنه، لأن التجربة إذا كبرت وسمت، فلا بد لها من مقدرة على التغيير أسمى وأكبر»[7].

وهكذا القرآن وما تطلبه قوة الوحي وعظمة المهمة، وثقل الأمانة أي أمانة الله للناس كلهم [إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا] (الأحزاب: 72).

الأمانة تحمل هدفا وغاية للإنسان، و إدراك دلالاتها الروحية، و الإحاطة بكل أبعادها لابد له من وسيلة، واللغة هي أم الوسائل لتبصر حدود معانيها و مراميها، ومعرفة أبعاد التكليف، وإدراك مراد الله عز وجل، وليس هناك وسيلة أخرى تؤدي وظيفة التفهم و التوصيل أقدر من اللغة، ولذلك كانت اللغة الأداة الأهم لفهم القرآن وتفسيره و تأويله.

«ولا بد من لغة تنقل هذه التجربة الضخمة، التي تعم الإنسانية جمعاء، وتتفق معها في فطرتها، وكذلك لا بد لهذه اللغة أن تملك الإنسان فتنعكس على سلوكه –فعلا وعملا- وتسري في كيانه البشري، لتأخذ محلها في محتواها الحضاري، وتختلف عن اللغة العادية»[8].

وقد قامت اللغة العربية بهذا الدور، إذ حملت إلينا عظمة رسالة القرآن وثقل تجاربها الإنسانية في القرون الماضية، ونقلت إلينا فنيات التعبير في القرآن التي بلغت حد الإعجاز، واستطاعت أن تؤدي هذه المهام بكل أمانة واقتدار.

لقد اختار القرآن لتثبيت الحقيقة في نفس الإنسان واستقرارها الأسلوب الفني الحي المؤثر في النفس، وكان القرآن معجزا من هذه الناحية، إمتاز بسمو معانيه، وجمال أسلوبه، وتناهي مفرداته وكلماته، وكمال تعاليمه الإنسانية العميقة.

وكثيرا ما تثير فينا هذه الجماليات الفنية الموحية والمؤثرة الدهشة والمفاجأة والاستجابة الطوعية الفورية، لأن الإنسان فطر على هذه الاستجابة

التي تنشئها دوافع الإعجاب والذهول والدخول تحت التأثيرات التعبيرية الراقية التي تغطيها مسحات أدبية وبيانية ساحرة، ولهذا كان الانصهار مع آيات القرآن والاتحاد معه يحدث بصورة عفوية عندما يتذوق القارئ القرآن أو المستمع عذوبة الفصاحة، وسلاسة المعنى وبلاغة العبارة.

وإن فقدان تأثير القرآن على النفس البشرية في هذا العصر يعود إلى ضعف الملكة اللغوية، وضياع الذوق الأدبي والفني.

ومن أجل هذا، فإن أردنا أن نعيد انصهارنا مع القرآن وفهم أسراره العميقة وإدراك معانيه المتباعدة في الزمن، فإن هناك واجبا علنيا يجب أن نقوم به، وهو: أن نجعل لغة القرآن لغة فطرية، وهي التي ابتعدنا عنها اليوم، ولاستعادتها لا بد من تجديد في أذواقنا وفهمنا، وتنمية ذوقنا اللغوي؛ لأن المستوى الراقي والفني للغة القرآن روح سارية في كيانه كله، ووجه من وجوه فهمه وتفسيره وتأويله حتى تحدث المقاربة بين القرآن وبين قمة الحضارة الإنسانية التي تصل إليها في كل مرحلة من مراحل تطورها.

2- التوسع الدلالي وجه من وجوه الإعجاز: لقد نزل القرآن من عند الله المتفرد بالوحدانية، إلى العالم المتعدد، فالمتكلم واحد وهو الله سبحانه وتعالى، والمخاطب متعدد ومتفرق ومشتت، إنه الإنسان الذي طبعه عدم الاستقرار على حالة واحدة من التحضر، بل جوهره التقلب والتحول وعدم المكوث على وضعية واحدة، فكيف يمكن للخطاب الواحد أن يتكيف مع المتعدّد؟

في الحقيقة عندما نتأمل في هذه المسألة ندرك أن الخطاب الإلهي موجه إلى العقل في الإنسان، وهو محور الحضارة والتطور، وبالعقل يستطيع الإنسان أن يعيد تشكيل المعنى في مرحلة من مراحل تطور الحضارة فالمعنى في القرآن كمفهوم مبني على التوجيه أو التشريع أو الأمر والنهي يتلقاه الإنسان بعقله في الأزمنة على اختلافها، فيقوم بتوسيع المعنى أو تضييقه ليحدث التلاؤم مع المستوى الحضاري المفتوح على فهم المعنى، يقول عبد القادر عطا: «وكان لا بد أن ينزل هذا الكلام القديم - القرآن- من أحديثه إلى تفرقته وتفصيله، فكان فرقانا تنزل على سيدنا محمد ﷺ بطريقة ميسرة يمكن للبشر أن

يعلموا مراميه ويتدبروا ويحاولوا العروج فيه إلى ما شاء الله لكل منهم من كمال المعارج والمعارف»[9].

إن بيان القرآن وبلاغته و لغته الإعجازية تؤثر على جميع الناس على اختلاف مداركهم العقلية، يقرؤه الفيلسوف والعالم والمفكر فيجدون فيه ضالتهم، ويشبعون نهمهم و يروون ضمأهم.

فأسلوب القرآن يفهمه العالم والأمي على السواء لأنه يتميز بالبساطة والوضوح والإقناع، والسبب في ذلك دعوته العقل إلى التأمل في الكون وما يحيط به من مظاهر الطبيعية.

إن التعدد و التدرج الارتقائي في مستوى الفهم لآيات القرآن لا تنحصر في فترة زمنية واحدة هي فترة النبوة وما بعدها بقليل بل تمتد إلى فترات زمنية لاحقة ومتنوعة و متباعدة، في إطار نسق معرفي ذي صلاحية منفتحة على كل الأزمنة والحضارات التي تظهر فيها، وصلاحية القرآن تمتد عبر الأزمنة لتسع مدارك الناس جميعا و تشمل عقولهم، والأطر النظرية في كل الأنساق المعرفية. والذي جعل خطاب القرآن مؤثرا إلى هذا الحد، وجعل كلامه نافذا في النفس البشرية على اختلاف ظروفها وبيئتها و أحوالها هو بلاغته. يقول بلقاسم بغدادي: "أدنى مراتب البيان أن يفهم المتكلم السامع، وأعلى مرتبة هي أن يؤثر فيه و يبلغ منه مراده و قد يؤثر البليغ، ولكن يبقى تأثيرا محدود، أما القرآن فتأثيره غير محدود ولهذا كان بيانه فوق كل بيان، وصفه الله تعالى بقوله: [هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ] (أل عمران: 138)"[10].

ولقد انفرد القرآن بميزة أساسية في التأثير، وهي أن تأثير القران ليس قائما على اختيار الكلمات والمفردات وحدها، ولكن قائما على التلميحات و الإيحاءات أيضا، وهي التي أعطت لأسلوب القران جماله و قوة تأثيره، لما نتج عنها من معاني إضافية، تباينات بين معاني الكلمات وهو ما قضي بخلودها وصلاحيتها في الأزمان ووسع مساحة التفكير والتأمل في فضاءات الكلمة المتعددة المعنى، بحثا عن الخفايا التي يصل إليها العقل بعد كثير من التدبر والاختيار. ولقد ذكر الزركشي أن هذه الميزة ظاهرة في القرآن بشكل جلي

فقال: "كانت الكلمة تنصرف إلى عشرين وجها أو أكثر أو أقل، و لا يوجد ذلك في كلام البشر"[11].

تتضاعف أهمية تعدد معاني الكلمة لأننا في عالم تعددت أشكاله وتنوعت وتطورت بعد التغيرات التي حدثت في الزمان والمكان، وخاصة بعد تعقد الحياة السياسية و الاجتماعية والاقتصادية والإعلامية، وهو الأمر الذي يجعلنا نعتقد أن تعدد معاني الكلمة مرتبط بعلم الله المستبق بتعقد الحياة و تعدد أشكالها.

إن احتواء اللفظ الواحد لعدة معان خاصة تفرد بها القرآن، يقول البوطي: "رب معني لا يستطيع الإنسان أن يعبر عنه إلا ببضع كلمات أو جمل، يعبر عنها القران تعبيرا جميلا بكلمة واحدة لا أكثر"[12].

ويقول أيضا: "إن معاني القرآن مصوغة بحيث يصلح أن يخاطب بها الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم وعلى تباعد أزمنتهم وبلدانهم ومع تطور علومهم واكتشافاتهم"[13]، واستدل على ذلك بقوله تعالى: [وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا] (النازعات: 30).

يفهم معناها الإنسان البسيط الذي يراه وهو الامتداد والانبساط و هو فهم صحيح تدل عليه الكلمة بمعناها اللغوي القريب، ثم يقرأها عالم الفلك فيفهم منها معنى الاستدارة والتكوير[14] ولقد أظهر محمد دراز بيان القران وتعدد المعنى في الكلمة الواحدة من كلماته بمثال استشهد عليه بقوله تعالى: [وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ] (البقرة: 212).

فقال: "انظر هل ترى كلاما أبين من هذا في عقول الناس، ثم أنظركم في هذه الكلمة من مرونة: فانك لو قلت في معناها انه سبحانه يرزق من يشاء بغير محاسب يحاسبه، و لا سائل يسأله لماذا بسط الرزق لهؤلاء و بقدر على هؤلاء؟

أصبت، ولو قلت انه يرزق بغير تقتير ولا محاسبة لنفسه عند الإنفاق خوف النفاد أصبت، ولو قلت أنه يرزقه بغير معاتبة ومناقشة له على عمله أصبت، ولو قلت أنه يرزقه رزقا كثيرا لا يدخل تحت حساب أصبت"[15].

ومن خلال هذا المثال ندرك أن الألفاظ في القرآن مرتبطة بالتصور القرآني وليس من شرح الألفاظ معزولة، فالألفاظ في القرآن ترتقي من مدلولها اللغوي إلى كلمات رمزية لا تصبح العناصر المكونة لها حقائق ملموسة، بقدر ما تكون معاني تتجلى فيها العلاقة السامية بين الله و الإنسان.

لقد سمي القرآن فرقانا، لأن معانيه تفرقت في الأزمان، فشملت كل الحضارات، فاقتبس منها الإنسان ما يعنيه في ذلك الزمن الذي يعيش فيه، والتمس فيها القيم التي يزن بها الأشياء، ويتخذ منها مقاييس ومعايير للسلوك الجيد الفاضل.

إن القرآن الذي هو كلام الله وهو علم الله وحكمته وخبرته التي لا يستغني عنها زمن من الأزمان، ولذلك امتاز القرآن بكثافة المعنى وشساعته حتى يغطي مساحة الحياة في جميع جوانبها في كل زمن، وحتى يؤدي رسالته التوجيهية، ويمارس وظيفته التهذيبية، فيستخرج الإنسان النموذج الذي يمثل الكمال الإنساني.

ومن هنا فالقرآن يجذبك بسحريته الإعجازية، دون أن تدرك كنه الإعجاز فيه، لأن الإعجاز يسري في كل عبارة من عباراته وفي كل معنى من معانيه، وفي كل موضوع يطرحه، أو مسألة يعالجها. فللخطاب القرآني حضور جمالي، ومرجعية نفذت في الوجدان الإسلامي، فالصياغة القرآنية هي نضم أدبي صارم، لا يمكن أن يتفكك أو يتحلل إلا على حساب خاصيته الأدبية، والمجانسة الأسلوبية والخطابية التي بين القرآن وبين الأنماط العربية في الأدب والشعر، هي مجانسة لغوية أثبت القرآن من خلالها تفوقه على القدرة الإبداعية البشرية ولذلك عجز أصحاب اللسن والفصاحة والبلاغة على الاستجابة للتحدي وكان هذا دافعا لبعض الدارسين للإعجاز القرآني للمضي في الغايات التنويهية والاستعراضية القائمة على أحكام إعلائية غايتها الاستسلام لقداسة القرآن دون تذوق جماليته التعبيرية[16]. ولا يزال هذا الشعور يلاحقنا حتى الآن، فها نحن نعبر عن إعجازية القرآن من خلال شعورنا بقدسيته وسلطويته النصية وكونه المرجع الأول في ديننا الحنيف؛ ولكن هذا الشعور فوت علينا تفهم الأداء

القرآني الذي جمع بين مطمحين اثنين أو هدفين اثنين جاء القرآن من أجلهما إنهما الهداية والإعجاز[17].

ومن هنا كانت الصورة القرآنية من أهم قوى تنشئة الوجدان الجمعي الإسلامي، لأنها حاضنة تربوية لا يفتأ يعمد إليها الأجيال بخواصها الإحالية والإيحائية، الأمر الذي عمل على خلق مدار ذهني وثقافي بلور المخيال الجمعي الإسلامي ونمط إلى حد رؤاه واستجاباته، وليس ما يعيشه المسلمون اليوم من واقع حضاري وتنموي متماثل، إلا دليلا على تجانسهم الروحي والذهني الملموس[18].

3- توصيل الفهم إلى كل الأزمان مقصد إعجازي: من المتواتر من الأحاديث أن النبي ﷺ وصف حالات الوحي عندما يتنزل عليه، فقال: (أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ)[19].

وهذا دليل على أن الوحي كان يتلقاه بلغة غيبية رمزية قوية ومؤثرة جدا، ولذلك كانت حالات الوحي شديدة عليه، وعنيفة قبل أن ينقدح الفهم في عقله.

فكان رسول الله ﷺ عندما ينزل عليه الوحي، يغتم ويتلون، ويتغير وجهه ويتصبب منه العرق من شدة ما كان يكابده من الجهد وهو يتلقى كلمات الله[20].

وقد وصف الله تعالى كلامه الموحي به إلى نبينا محمد ﷺ بقوله: [إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا] (المزمل: 5).

هذا هو القرآن، في مبناه ليس ثقيلا، فهو ميسر للذكر، كما قال تعالى: [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ] (القمر: 17)، ولكنه ثقيل في معناه، لأنه يحمل تكاليف كل عصر بحسب طاقة ذلك العصر، ومنسوبه في الوعي والإدراك لحقيقة التكاليف ولو لم يكن القرآن معجزا بنصه كيف كان يخترق الزمان وينفذ إلى كل الناس بالمستوى الذي تتسع له مداركهم؟

فالقرآن ثقيل بما يحمله من الحقائق الأبدية التي تستوعبها العقول أينما وجدت، فهو فيض من النور و المعرفة يحتاج إلى أسلوب مميز، وصياغة متفردة، حتى يستطيع الانتقال بين العصور والحضارات دون أن ينقص شيء

من أفكاره ومثله العليا التي جاء يدعو العالمين إليها، ودون أن يحدث فيها اختزال أو تعديل أو إلغاء، ولذلك ظلت مضامين القرآن مفهومة وواضحة لدى كل الناس في جميع الأعصر.

إن اللغة التي أنزل بها القرآن بلغت درجة من الإعجاز لو سمعها الجماد لاستجاب لتأثيرها، فلقد قال الله تعالى: [لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] (الحشر: 21).

هذه هي صورة القرآن الحقيقية، له ثقل وسلطان وأثر مزلزل، لو أنزل على جبل لأرجف ولم يستقر، لأن حقيقته معجز، وهكذا لو تلقاه الإنسان على حقيقته.

«واللحظات التي يكون فيها الكيان الإنساني متفتحا لتلقي شيء من حقيقة القرآن، يهتز فيها اهتزازا، ويرتجف ارتجافا، ويقع فيه من التغيرات والتحولات ما يمثله في عالم المادة فعل المغنطيس والكهرباء بالأجسام أو أشد، والذين أحسوا شيئا من مس القرآن في كيانهم، يتذوقون هذه الحقيقة تذوقا لا يعبر عنه إلا هذا النص القرآني»[21].

واللغة العربية بهذا المستوى من الفصاحة والبلاغة التي ظهرت به في التعبير القرآني ما هي إلا ترجمة لتلك المعاني الثقيلة التي لا تحملها الألفاظ العادية في لغة الاستعمال والتواصل الاجتماعي، بل لا بد أن تكون هذه الألفاظ تحتل مكانة أدبية راقية، حتى تؤدي تلك المعاني في شكل جمالي مؤثر، وبالتالي نحدث الاستجابة الذوقية التي يثيرها الجانب الفني في الفطرة الإنسانية.

والجانب المعجز في القرآن ليس هو اللغة وحدها، بل المعنى أيضا، فالقرآن مشروع يتضمن محتويات ومضامين صالحة لكل زمن مع ملاحظة اختلاف الأزمنة اختلافا بائنا، فهذا التطابق والتوافق بين معنى القرآن، وبين الحضارات في قمة وعيها وإدراكها لدليل على إعجازية القرآن في معناه قبل مبناه، وما المبنى في حقيقته إلا لإحداث المواءمة والمقاربة بين المعنى القرآني والواقع الحضاري في الحياة الإنسانية.

«فقد اجتمع في صلبه (أي القرآن) البلاغ المبين، والإعجاز القائم مدى الدهر، وما ذاك إلا لأنه كتاب لم ينزل لهداية العرب خاصة، وإنما نزل لهداية البشرية كلها في عصر الرسول وبعده إلى أن تقوم الساعة فإنه إذا ارتاب قوم في صدق النبي ﷺ في عصرنا الحاضر، فمن أين نأت بالنبي ﷺ ليطالبوه بمعجزة تدل على صدقه؟ لهذا كان القرآن نفسه بيانا ومعجزة في آن واحدة، ولم تكن مادة إعجازه ذات وجه، واحد تلائم عصرا واحدا، أو مجموعة من الأجيال بعينها، بل كانت مواد إعجازه متنوعة وكامنة في أطوائه، وكلما تقدم المنكرون الجاحدون في العلم إلا انكشف لهم وجه من وجوه إعجازه يقمع ضلالات كفرهم، ويهدي إليه الآلاف المؤلفة من كل عصر، وهو ما نشهده الآن، وقبل الآن، وما ستشهده الأجيال بعد الآن»[22].

وقد أشار الرسول ﷺ إلى هذا المعنى في الحديث الذي أخرجه البخاري فقال: (مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ)[23].

ومعنى الحديث أن هؤلاء الأنبياء أوتوا معجزات حسية مادية ترى بالعين، وانتهت بانتهائهم، ولم يشاهدها إلا من حضرها، أما معجزة القرآن فهي مختلفة، لأنها ليست مادية ترى بالعين، وإنما هي معجزة عقلية أدبية أسلوبية وبلاغية يدركها الإنسان بعقله وبذوقه وبإحساسه بالجمال والفن، وإذا كانت المعجزات السابقة قد شاهدتها الأبصار، فإن معجزة القرآن قد شاهدتها البصيرة المجرّدة عن الزمان والمكان، ولذلك انقرضت المعجزات الأولى بانقراض مشاهديها، وبقيت معجزة القرآن مستمرة لأن بصائر العقول لا تنقرض.

ولقد أبان القرآن بأن طريقته في إذعان العرب لفحوى دعوته متعلق بمدى إذعانهم لبيانه، وسمو بلاغته، ولقد أدرك فصحاؤهم وبلغاؤهم وحكماؤهم، سلطانه على قلوبهم، وقوة تأثيره على نفوسهم؛ لأن بيانه معجز، فنصحوا أتباعهم بعدم سماعه خشية الوقوع تحت سطوته وهيمنته عليهم.

وقد كشف الله تعالى كيدهم وهم يحاولون إبعاد أتباعهم عن سماع القرآن من النبي محمد أو أحد أتباعه فقال: [لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ] (فصلت: 26).

لقد شعر العرب ذوو الفصاحة واللسن بأن القرآن ليس قصاراه أن يكون أسلوبا ممتازا، ولم يكن شأنه شأن المعلقات السبع في الجودة الأدبية، بل عرفوا أن الأمر يتعدى ذلك ويتجاوزه بكثير، وما إذعان العرب له عاجزين، أو انقيادهم له مختارين إلا دليل على عظمة إعجازه التي تفوق عندهم مقاييس العادات الأسلوبية المتعارفة عندهم آنذاك.

إن الجانب الأدبي في الإعجاز القرآني هي السمة الأعم للقرآن، تلك السمة التي تميز بها القرآن في جمال أسلوبي لا يضاهى وجلال مميز، وبالاعتراف الفوري بالعجز عن الإتيان بمثله، كانت وظيفتها أداء المعنى القرآني في المساحات الشاسعة التي تتسع لها الحضارة في قمة وعيها وإدراكها، فحصل المعنى بعمق المعرفة المطلوبة حسب مستويات وعي الشعوب عبر الأزمان، هو ما تكفل القرآن بتحقيقه، لضمان سيره وبقائه وصلاحه لأجيال البشرية في كل مكان وزمان، فاتخذ القرآن الأسلوب الأدبي الرفيع وسيلة نافذة وقوية تضمن مخاطبة القرآن لكل جيل من البشر بالمستوى الذي هم عليه، ولذلك قال الله تعالى: [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ] (القمر: 17).

فتيسير الله تعالى فهم القرآن لا يخص جيلا واحدا من البشر، وإنما فهم القرآن متاح لكل الأجيال، فالإنسان أينما وجد إلا ونصيبه من فهم القرآن مكفول له، ولذلك كما تعهد الله بحفظه عندما قال: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] (الحجر: 9)، تعهد أيضا بتبيينه وتسهيل فهمه فقال: [ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ] (القيامة: 19)، وهذا يعني أن القرآن يجب أن يقرأ قراءة فهمية في كل زمن، والذين يعتقدون أن القرآن قرئ وفهم منذ الزمن الأول، ودورنا نحن يقتصر على النقل فقط دون المشاركة في اكتشاف معنى القرآن، وبناء فهمه في إطار تأسيس المعرفة وتطويرها حسب ما تقتضيه العصور والحضارات، فهم مخطئون في فهم القرآن ويبدو أنهم متجاهلون للدلالات التي تحملها هاتان الآيتان السابقتان، ففي دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام في قوله تعالى: [رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ] (البقرة: 129)، تأكيد لهذه الحقيقة، فمعنى الحكمة التي في الآية فهم الكتاب الذي هو

القرآن، والله تعالى استجاب لدعوة إبراهيم وأكدها فقال: [هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] (الجمعة: 2).

وفهم القرآن مكفول لكل جيل يقرأه وهو يقصد فهمه والعمل به، وإلا ما الفائدة من القراءة غير الفهمية، التي لا تنفع صاحبها ولا تفيده في شيء، وبالتالي تكون كل محاولة تفسيرية للقرآن إذا كانت تكتفي بالنقل والتكرار عديمة الجدوى.

إن تسليمنا بأن القرآن معجزة مستمرة، يحملنا على الاعتقاد بأن علائم صدقه لا تنحصر في عبارته وأسلوبه فحسب، بل في عوالم موضوعاته التي تطرق إليها وعالجها في الطبيعة والنفس، كما قال القرآن نفسه: [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ] (فصلت: 53).

فالقرآن رسالة وحدت بين الدليل والإعجاز لأول مرة في تاريخ الرسالات، ولا يزال العلم وتطور الحياة، ورقي الفكر الإنساني تكشف كل يوم أبوابا من أبواب التحدي بهذا القرآن العظيم، فلا يمر عصر من الأعصر إلا ويظهر في القرآن من مظاهر الإعجاز الفني والعلمي ما لم يكن معروفا في الأعصر التي سبقت ذلك العصر، تمشيا مع تقدم الفكر البشري وتقدم العلوم والمعارف، وكل يوم يمر على الحياة يضيف إلى سجلات المؤمنين بالقرآن أعدادا لا تحصى[24].

4- أساب عدم الخوض في موضوع الإعجاز في عصر الصحابة والتابعين:

أولا: لقد مضى عصر النبوة وشطر من زمن العباسيين ولم يتعرض أحد إلى دراسة الإعجاز، وإنما فعلوا ذلك مثل ما فعلوا في تفسير القرآن، تهيبا وتخوفا من الوقوع في الخطأ والحرج، فادى بهم هذا التحوط والتحرج إلى الإحجام عن القول في القرآن، وليس هذا إهمالا لشأن القرآن، أو تقصيرا في حقه، وإنما كان إعظاما لأمره، وتهيبا لمقامه، وصونا له من أن يكون غرضا للأهواء والآراء، وميدانا للجدل والخلاف[25].

«ومن هنا تهيب كثير من الصحابة والسلف ممن كانوا علماء باللغة، فقهاء في الدين تفسير القرآن، وتركوا القول فيه خوف الزلل والقول فيه بالرأي،

والتألي على الله في الكشف عن مراده من كلامه الذي لا يعلم تأويله إلا هو تبارك وتعالى»[26].

ثانيا: أنهم كانوا يدركون تماما أن هذا القرآن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك فلا مجال للبحث فيها، لأن البحث في مسائلها كما قال السيوطي؛ «دقيق وخطير»[27].

ثالثا: أنهم كانوا أهل الفصاحة واللسن، وكانت هذه الخاصية بارزة في مفاخرهم وآدابهم وشعرهم، وكان تذوق الأدب العالي والإقبال عليه طبع فيهم، وسجيتهم التي تميزوا بها، ولذلك أدركوا بفطرتهم السليمة، وذوقهم العربي الصحيح بلاغة القرآن وإعجازه، فاستغنوا بذلك عن المساءلة عن معانيه، وعن الكلام فيه وفي إعجازه.

«فالعرب كانت تزدهيهم العبارة البليغة،ويرون المثل الأعلى للنبوغ في قصيدة جيدة، أو كلمة حكيمة، وكانت المعلقات السبع، وصناعة الكلام لديهم، تضارع في زماننا هذا أرقى أنواع الفن والإبداع والصناعة التي تنتجها الأمم، وتقيم لها المعارض، وتدعوا لها الزائرين !!وإنك لتقرأ من ولوعهم بالأدب ما يثير العجب !!... ولما جاءهم القرآن وهو على الصعيد الأدبي والفني والبياني أعلى قمة في التعبير والأسلوب، وجد فيه العرب ضالتهم وحاجتهم، فانكبوا عليه انكبابا، وجعلوا منه مصدرا يروي ضمأهم، ومنهلا يشبع نهمهم»[28].

يقول أبو عبيدة: «قالوا: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، ومصداق ذلك آية من القرآن»[29]. وفي آية أخرى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ] (إبراهيم: 4).

فلم يختلف السلف، ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي ﷺ أن يسألوا عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب مثله عن الوجوه والتلخيص، وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب ومن الغريب والمعاني»[30].

5- دوافع البحث في ماهية الإعجاز ومقاصده:

أولا: تبدل أحوال العرب الأدبية واللغوية وظهور الطعن في القرآن:

لقد كانت أحوال العرب في اللغة من حيث الفصاحة والبيان سليمة، ولذلك كانوا في غنى عن الكلام في القرآن، ووجه إعجازه كما أوضحت سابقا:

«ومضى الأمر على ذلك حتى تبدلت أحوال العرب، ولانت جلودهم، ونجم في مجتمع المسلمين أهل التشكيك، وجاهروا بالزيغ، وكثر القول في القرآن وإعجازه... وضل بذلك من ضل، وهلك من هلك»[31].

ولذلك اتجهت دراسة إعجاز القرآن في أول أمرها لا إلى وجهه أو إلى كنهه، بل اتجهت إلى الدفاع عن القرآن ونفي ما أثاره الطاعنون فيه من أكاذيب وأباطيل.

«فاتجهت جهود العلماء إلى دراسة المجاز في القرآن حتى يفسروا الاتجاهات الفنية التي نزل بها القرآن، وأثارت تساؤلات الناس فيما يشبه الاعتراض على أسلوب القرآن الكريم في بعض صوره التعبيرية، وليدللوا من خلال ذلك على عربية القرآن وفصاحته، وأنه لم يخالف سنن العرب في طرائق التعبير»[32].

وقد بين ذلك ابن قتيبة في مقدمة كتابه (تأويل مشكل القرآن) عندما قال:
«وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه أو هجروا، واتبعوا [مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ] (آل عمران: 7).

بأفهام كليلة وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة واللحن وفساد النظم والاختلاف، أدلوا في ذلك بعلل، ربما أمالت الضعيف الغمر، والحديث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور، فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون، فألفت هذا الكتاب»[33].

فابن قتيبة نصب نفسه منافحا عن كتاب الله، ومدافعا عنه أمام مطاعن أصحاب الإلحاد وجرأتهم على التقول في القرآن بأقوال واهية يراد منها إثارة التشكيك في إعجاز القرآن وكونه جاء على سنن العرب وطريقتهم في الكلام البليغ، وكانت هذه المرحلة تقتضي الاكتفاء بهذه الحركة الدفاعية دون التعميق في المفاهيم، لأن المعرفة لم تتسع، والعلوم لم تكتمل.

وخلاصة الرؤية الدفاعية في هذه المرحلة، أن القرآن شأنه شأن فنون القول المأثور عن العرب، من حيث اتساع طرق الأداء اللغوي والأسلوبي وأن ما قضى به الطاعنون على القرآن مصدره الجهل بلغة العرب.

وقد مهدت هذه الحركة لظهور حركة أخرى تبحث في أوجه وطرق الأداء اللغوي والبياني في القرآن، وظلت هذه الحركات متصلة الحلقات حتى توجت بالجهود التي بذلها العلماء اللغويون والبلاغيون المعتزلة خاصة ثم الأشاعرة فيما بعد، إلا أن المعتزلة كانوا أكثر المثيرين لقضية الإعجاز ونقل عنهم أبو الحسن الأشعري قولهم: «تأليف القرآن ونظمه معجز، محال وقوعه منهم، كاستحالة إحياء الموتى منهم، وإنه علم رسول الله»[34].

وكما اهتم المعتزلة بقضية الإعجاز، اهتم به الأشاعرة أيضا، ولعبوا في تبيينه وإيضاحه دورا كبيرا، فأبو الحسن الأشعري، يرى «أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها، فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة، وإن كانت سورة الكوثر، فذلك معجز»[35].

وكانت تعليلات المعتزلة والأشاعرة بلاغية في الغالب أو مجازية، فنظرتهم إلى الإعجاز كانت نظرة لغوية بلاغية، يقول الدكتور منير سلطان: «وسارت النظرية في اطراد بها أثارهم الكلامية وجهودهم في البلاغة حتى بلوروا النظرية، ولم تكن هذه الجهود المبذولة سوى إيضاح لطريقة حاول الأعداء أن يطمسوه، هو أن القرآن حجة وأنه معجز، أو إعجازه لأسرار فيه عديدة»[36].

ثانيا: إثبات صدق القرآن وصلاحيته في كل الأزمنة

لا يحمل القرآن خطابا زمنيا جاء لفترة تاريخية محددة ولذلك لا يمكن أن ينحصر إعجازه على وجه واحد يعكس ثقافة عصر بعينه، خاصة إذا كان الإعجاز هو الحجة والدليل على صحة القرآن ومن ثم صحة الدين الإسلامي كله.

وإذا كان لكل شعب هواية يصرف إليها مواهبه الخلاقة، طبقا لعبقريته ومزاجه، فالفراعنة مثلا كان لهم اهتمام بفنون العمارة والرياضيات، يدلنا عليه ما بقي بين أيدينا من آثارهم العظيمة، واليونان كانوا مغرمين بصور الجمال

على ما أبدعه فن (فيدياس) وبآيات المنطق والحكمة على ما جاءت به عبقرية (سقراط).

فإن عرب الجاهلية كانت هوايتهم في لغتهم، فنحتوا منها صورا بيانية لا تقل جمالا عما كان ينحته (فيدياس) في المرمر، فقد كان العرب حين نزل القرآن عبدة البيان قبل أن يكونوا عبدة الأوثان وقد سمعنا من استخف منهم بأوثانهم، ولم نسمع قط منهم من استخف بيانهم[37].

ومن هذا الوجه تحداهم القرآن وهم أهل البيان، القادرون على التفنن في القول، وقد أوتوا قدرا عاليا من تذوق البيان، ومن هذا الوجه أيضا عجزوا وتحيروا واضطربوا، مقرين بعجزهم عن معارضة هذا القرآن، أو الإتيان ولو بسورة من مثله، وربما كان هذا هو السبب في لفت أذهان اللغويين القدماء والمتكلمين والعلماء إلى التركيز على هذا الجانب من الإعجاز.

وفي الحقيقة، القائلون اليوم بأن علة الإعجاز تكمن في البيان والعبارة والأسلوب، لا يمثلون عصرهم، وإنما هم نقلة أقوال من سبقهم، ومثلهم الذين فسروا إعجاز القرآن بما وجدوا فيه من موافقات لنظريات علمية أو اكتشافات طبية حديثة، وفي الحقيقة وجه الإعجاز في القرآن يكتشفه كل زمن بما يعكس عبقريته ومزاجه، وعبقرية زماننا هذا ترسمها انفجار العلم والمعرفة والفكر، بحيث صار العصر متكونا من مجموعة من الأفكار والمذاهب والتيارات الفكرية والفلسفية تؤطر حياة الإنسان وهنا يجب أن يظهر إعجاز القرآن مفحما للمعاندين، مدحضا لدعاوى أهل الباطل والضلال، مبينا فساد مذاهبهم، وضعف آرائهم، ووهن حججهم بما يحمله لهم من معاني متفوقة، وحلول ناجعة، وما ذلك إلا لأن لفظه محيط بالمعاني العميقة، ومعناه قد اتسع لجميع المدارك البشرية باختلاف مستويات الحضارة.

فلا المسلم اليوم يدرك الذوق الفطري للبيان كما كان يدركه العربي وقت نزول القرآن ولا حتى الذوق العلمي الذي أدركه المسلم في العصر العباسي؛ لأن هذا العصر ليس عصر لغة وبلاغة وأدب، وضعف المسلم المعاصر في هذا الجانب البياني من اللغة ملحوظ وقد دفعه هذا الضعف إلى البحث عن وجوه أخرى من الإعجاز فاستساغ الحديث عن الاكتشافات العلمية،

وربطها بما يتوافق معها من آيات القرآن، ويرى أصحاب هذا الرأي أن استعمال القرآن للحقائق الكونية في الدعوة إلى الخالق الحكيم المبدع، فيه تحد للعقل البشري، بإحقاق الحق على يد رسول أمي ما كان يتلو كتابا ولا يخطه بيمينه[38].

«ومؤامرات العالم على الإسلام، وصموده شامخا أمام المؤامرات، بل اتساع سلطانه على القلوب أعظم دليل على اتساع مدى الإعجاز القرآني إلى جانب إقناع البيان، وتجاوز هذا الإعجاز نطاق البلاغة والفصاحة، وتصحيح النظريات العلمية، والتنبؤ بالمستقبل إلى نطاق السياسة والاجتماع والعلوم التجريبية كلها»[39].

وفي الحقيقة الإعجاز القرآني فيض يدرك ولا يفصل، هو روح سارية فيه، تظهر في كل عصر بلون يتذوقه العقل البشري بمستوى تكوينه وثقافته، فالإعجاز القرآني روح متعددة والشعور به شعور شامل يسيطر على الإنسان كونه صادر من سلطة علوية، وهو الشعور الذي كان يتسلل في قوة إلى قلوب العرب، فيعودون إلى كلامهم وأشعارهم فلا يجدون فيها هذه الروح.

ولأجل هذا وصف الله تعالى القرآن بأنه: روح، ونور، وضياء، وهدى، وأوصى المؤمنين به بقراءته وترتيله وتلاوته لتجديد الشعور بتلك الروح الفياضة، وقد تجلى هذا الإحساس العميق في الصوفية خاصة، فأوجبوا على أنفسهم أورادا وقراءات وأحزابا من القرآن يلتزمون بها يوميا، وخاصة أوقات الليل والسحر، لأن الله تعالى يقول: [يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿1﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿2﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴿3﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿4﴾] (المزمل: 1-4).

ومن المؤكد أن تأثرهم بالقرآن أثناء قراءته، ليس نابعا من التأثر بفنون البلاغة والبيان، إذ ليس فيها ما يمت إلى العبادة والثواب بشيء، فهي وسائل وليست غايات، فالقرآن له تأثير خاص على قارئيه مستمد من روحه العامة التي تسري في كل سوره وآياته، وليس من البلاغة وفنونها، وليس هناك كتاب فوق هذه الأرض يبكي الناس عندما يقرأونه أو يسمعونه سوى القرآن، وما كان بكاؤهم من براعة التشبيه أو الاستعارة، أو الكناية، وإنما تأثرا بإعجازه الذي

هو روح القرآن، ولذلك بقي القرآن في قلوب التالين له بنفس الدرجة من القوة، سواء في عصر الرسول صلى الله عليه و سلم أم في العصور التالية.

ثالثا: قدرة الدلالة القرآنية على تفعيل المعني في مختلف العصور و الأزمنة:

انطلاقا من أهمية دلالات النص القرآني وضعت المعاجم التي تشكل من بعض الوجوه حصونا لحماية دلالات الألفاظ و بيان مراد العرب منها. ومن بعض الوجوه الأخرى فهي تشكل لنا معالم تبين فضاء اللغة الشاسع وأفاقها الممتدة، وأوعية بيان للمعاني، و دليلا على خصوبة اللغة و حيويتها.

ويكفي أن نرجع إلى المعاجم ونأخذ مفردة أو لفظة واحدة لندرك الفضاء الكبير، والمدى الواسع الذي يتيح لنا قدرا أكبر من الاستعمال، والدلالات اللغوية في النص القرآني هي فضاءات مفتوحة أمام العقل البشري وليست مقابر لغوية منحطة، بل أن الدلالة اللغوية في النص القرآني لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة على الأرض، ولقد أختيرت لتكون محلا للمعجزة القرآنية الخالدة، وهذا ما جعلها ترتقي إلى مستويات من القدرة على التعبير عن التطور الحضاري لم تبلغه لغة أخرى، فكونها تحمل معجزة لم تقتصر على بلد وجيل، بل هي مجردة عن حدود الزمان والمكان لأنها خالدة ومستمرة، ترتقي إلى مستوى كل عصر وكل إنسان و كل حضارة، وهذا يعني قدرة الدلالة القرآنية على استيعاب حركة الحياة والعلوم والمعارف وانجازات الحضارة حتى نهاية الحياة على الأرض.

وإن اللغة العربية بصفة عامة هي لغة التنزيل الأخير للوحي الإلهي الذي يخاطب البشرية جمعاء، ولذلك تمحورت جميع الأبحاث والدراسات اللغوية من نحو وبلاغة حول القرآن، وخاصة علم المجمعات والقواميس التي شكلت في الحقيقة حصونا لغوية، وضبطت دلالات الألفاظ، وحددت معهود العرب في الخطاب، ليشكل ذلك منهجا في التعامل مع النص القرآني الذي ينطلق أساسا من تحديد دلالات الألفاظ لاستنباط الأحكام، وشرح المعاني، واستخراج المقاصد والحكم القرآنية ومناط الأحكام ومآلاتها.

فالدلالة اللغوية في النص القرآني ليست أسوارا أو قوالب جامدة، فان هذا لا يخدم مقاصد القرآن في الحياة، بل هي امتداد لغوي يحمل معاني متعددة،

ومفاهيم متنوعة لتستوعب إبداعات الإنسان مع تشريعات القرآن وأحكامه لأن القرآن هو محور الثقافة والحضارة، وأن الارتباط بالنص القرآني في كل حين لإصباغ الحياة بالمشروعية الدينية المستنبطة من القرآن يتطلب في كل حين النظر في مدلولات النص لمعرفة أحكامه ومقاصده.

وهنا قضية على غاية من الأهمية، و هي أن دلالات ألفاظ القرآن بما أنها مرتبطة بالرسالة العالمية الخالدة، تقتضي منطقيا أن تكون على قدر من الاتساع لكل الحضارات عبر العصور، لأن دلالات الألفاظ هي لسان هذه الرسالة الخالدة وأداتها، ووسيلتها في التعبير عن كل الأحوال، وعن كل فعل ثقافي أو صناعي أو تجاري أو سياسي أو أدبي....الخ.

ومنطق الأشياء هنا يقتضي أن تكون دلالات الألفاظ مؤهلة للتعبير عن أبعاد هذه الرسالة و أهدافها ومقاصدها، وأن تكون على امتداد مع هذه الرسالة في الأزمان تحقيقا لخلودها ولهذا كانت اللغة العربية محلا لاختيار إلهي لما تمتلكه من قدرة على التوسع والتمدد والاحتواء لكل ما تنتجه الحضارات تعبيرا ونقلا واستيعابا.

إن القرآن عالمي الرسالة، وان كان عربي الخطاب، ولذلك فان فهمه، وإدراك معانيه، وتبيين مقاصده إنما يتحدد من خلال معرفة هذه اللغة، ومعرفة دلالات ألفاظها في هذا الخطاب الإلهي الذي وصلنا كما نزل بألفاظه وأسلوبه و فواصله وأصواته ومخارجه، وان ميزة هذا النص أن وصوله إلينا لم يقتصر على الشكل الظاهري للغة، بل تميز وصوله إلينا بالطريقة التي فهم بها سواء في زمن النبوة أم الأزمنة التي جاءت بعده، لأن فهمه يتحدد من خلال إدراك مجهود العرب في الخطاب، وهذه ميزة لم تتوفر لأي نص في التاريخ، لأن تلك النصوص دونت بلغات تطورت حتى غادرت أصولها الأولى، و اغتربت عن أصلها الأم الذي أدى إلى عدم وجود مرجعيات لرحلة اللفظ و تطور دلالته التاريخية.

1- دلالة الألفاظ في القرآن و ارتباطها بالمرجعية اللغوية لا ينفي عنها الإعجاز: إن وجود المرجعية في اللغة العربية (معهود العرب في الخطاب) التي تحدد دلالات الألفاظ، وتشكل المعيار الذي يحتكم إليه عند التناقض في

المفاهيم، يحول إلى حد بعيد دون تحريف المعنى في رحلته الطويلة وهو يشق طريقه بين الحضارات والعصور، ويعصم النص الديني (القرآن والحديث) من التأويلات والتحريفات اللفظية التي تعرضت لها التورات والإنجيل.

وعند حدوث حركة التأويل في الثقافة الإسلامية، وهي تأويلات في أغلبها مزاجية أو مذهبية أو سياسية حاولت إخراج المعنى من منطقة وضعه ومساحة تمدده، رجع العلماء إلى المرجعية وهي معهود العرب في الخطاب ولعل هذه المرجعية تعتبر إحدى الركائز الأساس لحفظ النص الإلهي و حمايته من التغيير والتحريف، وحمايته مما لحق بالنصوص الدينية الأخرى السابقة.

فمعهود العرب في الخطاب الذين نزل القران بلغتهم هو الذي يحدد دلالات الألفاظ، ويضبط استعمالها، ويحول دون العبث بالمفاهيم: "وإن هذه المرجعية اللغوية لا تعني الحجر وإيقاف اللغة وإنما تعني المنطلقات السليمة والجذور الممتدة التي تحول دون النمو السرطاني الذي يؤدي إلى مغادرة الأصل ولا يستصحبه[40]".

والقرآن نفسه استخدم دلالات ومصطلحات جديدة، وطور معان لألفاظ كثيرة، وفتح الباب أمام أولى النظر والبحث لينجو نحوه ويتبعوا منهجه في هذا المسار، وهو أنه حمل ألفاظا كثيرة من لغة العرب معان شرعية إضافية أو عرفية متصلة بأصلها، غير نابئة عن مواضعها التي تعارضت عليها العرب، وكثيرا ما نجد في كتب العلم الشرعي التأكيد على أن المفهوم اللغوي للفظ هو كذا والمفهوم الشرعي أو الاصطلاحي هو كذا، والرابط بينهما هو أما المجاز أو التوليد أو الاشتقاق وكلها معان إضافية جديدة أضافها القرآن إضافة مرنة حافظت على أصلها في الوضع دون أن تغادره أو تنفصل عنه.

"إن ألفاظ اللغة يمكن أن تحتمل معان كثيرة و تكون حياتها مستمرة مع الحفاظ على خصائصها الولادية، أو مرجعيتها، شريطة أن لا تعود على دلالاتها الأصلية بالنقص أو الإلغاء"[41].

إن النص الشرعي (القرآن والحديث) إنما يشكل خطابا عاما ميسرا قال تعالى: [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ] (القمر: 17).

وهذا الخطاب يشكل رؤية حضارية، وينتج ثقافة، ويؤسس في الحياة مفاهيم، ويشكل مناخا حاضنا لكل تطورات العلوم والمعرفة والوعي بشتى أشكاله، فهو خطاب موجه للذين يدركون دلالاته ويستنبطون منها الأحكام ويبقى معهود العرب في الخطاب مرجعية أصول الألفاظ، يعود إليه الناس عند الاختلاف والتشتت في الآراء والأفكار.

وان الاعتماد على دلالات الألفاظ في القرآن كانت خير معين لعلماء الشريعة وللمجتهدين في اكتشاف مآلات الأفعال و مقاصد الأحكام وما ظهور علم مقاصد الشريعة إلا دليل على الأهمية البالغة لعلم دلالة اللفظ، إلى درجة أن واضعي هذا العلم و على رأسهم الإمام الشاطبي و الإمام ابن عاشور اعتبرا أن هذا العلم هو ثمرة النظر في دلالة ألفاظ اللغة التي خاطبنا بها القرآن.

إن قول الله تعالى: [بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] (النحل: 44)، وإن قوله: [وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ] (العنكبوت: 18).

يقتضيان لغة مقتدرة على التبيين والإبلاغ لكل الناس وفي كل الأزمان، وهذه اللغة تكون مقتدرة بكل مكوناتها وخصائصها ومميزاتها، ومن أبرز مميزات هذه اللغة التي نزل بها القرآن سعة دلالاتها، وشمولية ألفاظها لكثير من المعاني، لأن هذه اللغة هي محل الإبانة والإبلاغ للناس جميعا، تحمل لهم أفكار القرآن وقيمة و نظامه، ولذلك وجب أن تكون على هذه الشاكلة، أي قادرة على توصيل مضامين هذه الرسالة للعالمين، لن تقوم بأداء واجب الإبانة والبلاغ إلا إذا كانت ألفاظها تزخر بحمولة مكثفة من المعاني، وتلك هي خاصية اللغة العربية ولذلك اختارها الله لينزل بها كتابه المعجز، وكانت هذه اللغة مظهرا لهذه المعجزة، وإذ كانت معجزة القرآن مستمرة و خالدة فان ذلك منطقيا يتطلب أن تكون لغته معجزة القرآن مستمرة و خالدة فان ذلك منطقيا يتطلب أن تكون لغته معجزة أيضا تتصف بالاستمرار والخلود، ويتجلى ذلك في مدى قدرتها على التعبير عن كل معطى حضاري يتلقى برسالة القرآن.

ولا يعني ذلك وقوع تغير في اللغة العربية أو خروج دلالاتها اللغوية عن أصل وضعها، ومغادرتها لمعهود العرب في الكلام.

لقد أظهر بن قتيبة أن بلاغة القرآن وأسلوبه الاعجازي الجميل وبيانه الفذ لم تخرج كلها عن طريقة العرب في الخطاب، وأورد لذلك مثلا هو قوله تعالى: [فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ] (الدخان: 59).

قال تعليقا على هذه الآية:" تقول العرب إذا أرادت تعظيم مهلك عظيم الشأن، رفيع المكان، عام النفع، كثير الضائع، أظلمت الشمس له، وكسف القمر لفقده، وبكت الريح، والبرق والسماء والأرض، يريدون المبالغة في وصف المصيبة به وإنها شملت وعمت"[42].

الخاتمة:

في الحقيقة يكمن إعجاز القرآن في اقتصاد اللفظ وسعة المعنى، أو بمعنى آخر اعتصار الدلالة بحكم التوترات المتعددة، توتر في اللغة ذاتها مما جعلها قابلة لتعدد التفسير، وتوتر في النص ذاته لأن له روحا باطنية قابلة للتفهم في كل أحوال الحضارة، فهي في تخلق جديد يجعل لها في كل مرحلة من مراحل الحضارة معنى جديدا.

ولقد كان تركيز القدماء على دراسة الغلاف اللغوي الذي يغطي القرآن كله باعتبار أن اللغة كانت تمثل قمة الثقافة العربية، ولكن تركيزهم على الجانب اللغوي أخد بعدا بلاغيا و نحويا أكثر من التوغل في مناحي الدلالة و خفاياها، إذ تمتاز الدلالة اللغوية في القرآن بالتنوع والتعدد لمواكبته كل الحضارات في العصور المختلفة.

والذين ركزوا في دراستهم على فهم الدلالة واستنباط معاني القرآن منها هم المؤولون، وقد فعلوا ذلك لا بغرض البحث عن مواطن الإعجاز في القران، ولكن بغرض الاستدلال على صحة مذاهبهم ومن هنا أثرت هذا الموضوع من أجل إعطاء أولوية وأهمية لهذا البحث ألا وهو بحث الدلالة وموقعها في الإعجاز القرآني.

وسأعرض الآن بعض النتائج المتوصل إليها، والتي تمثل ركائز الإعجاز في القرآن الكريم، و إن غفل عنها الدارسون و الباحثون في ظاهرة الإعجاز القرآني، وحتى الذين أشاروا إليها، لم يخصوها بالبحث والتأمل، وإنما

تناولوها في إطار رصد الظواهر اللغوية التي يمتاز بها أسلوب القرآن، بينما نراها نحن من اخص وأدق عناصر الإعجاز القرآني.

1- تمتاز لغة القران بالإيجاز الغريب، إذ تعبر بالقليل من الكلمات عن أفكار كثيرة، يصعب التعبير عنها في العادة إلا بجمل مطولة، ويضاف إلى الاختصار في التعبير، التركيز الشديد في ابرزا المعنى المقصود بأسلوب أخاذ ومعجز، يجعل جميع المستويات المختلفة تلتقي على فهم القرآن، كان كل عبارة فيه مفصلة تفصيلا بما يناسب عقلية كل منهم يحسب درجته في العلم والمعرفة.

2- أن جملة واحدة تلقي إلى العلماء والجهلاء، والعليا من الناس والسوقة، والملوك والرعية والخاصة والعامة، فيراها كل واحد منهم مقدرة على مقياس عقله، وعلى وفق حاجته، فذلك مالا تجده على أتمه إلا في القرآن الكريم، فهو قرأن واحد، يراه البلغاء أو في كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام، و أقربه إلى عقولهم.

3- تعتبر الدلالة من أهم الأسس و العوامل لفهم النص القرآني واستنباط أحكامه، فالخطاب القرآني بما انه خطاب لغوي، فهو يتميز بصفة الانفتاح، لاحتماله أكثر من وجه دلالي، لأنه لا يخاطب جيلا واحدا، أو مستوى واحدا، بل هو خطاب يشمل كل الأزمنة، ويحيط بكل مراحل الحضارة في تطورها، وهو ما جعل المفسرين والأصوليين والمفكرين لا يتوقفون عن الاجتهاد، والتوسع في تحليل معاني القرآن بما لا يخرج عن دوائر مقاصده، وهذه مزية تفرد بها الخطاب القرآني، وهي مظهر من مظاهر إعجازه.

المصادر والمراجع:

1- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد الصقر، دار المعارف، الطبعة الخامسة.

2- أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سركين، مؤسسة الرسالة، بيروت.

3- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، المطبعة العصرية، بيروت، 1990.

4- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث العربي، القاهرة، الطبعة الثانية.

5- ابن الكثير، البداية و النهاية. مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1991.
6- أحمد سيد محمد عمار، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، دار الفكر المعاصر، لبنان، ودار الفكر، سوريا، الطبعة الأولى، 1998.
7- بدر الدين الزركشي البرهان في علوم القران دار المعرفة بيروت.
8- بالقاسم بغدادي المعجزة القرآنية. ديوان المطبوعات الجماعية الجزائرية 1992
9- جلال الدين السيوطي، المزهر في اللغة والأدب، تحقيق: المولى البيجاوي، وأبي الفضل إبراهيم، المطبعة العصرية، بيروت، لبنان.
10- زكي نجيب محمود، فلسفة وفن، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963.
11- سليمان عشراتي: الخطاب القرآني مقاربة توصيفية ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.
12- سيد قطب، النقد الأدبي (أصوله ومنهجه)، دار الكتب العربية، بيروت.
13- عمر السلامي: الإعجاز الفني في القرآن، تونس، 1980.
14- عبد القادر عطا: عظمة القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
15- عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الشام للتراث.
16- عمر عبيد حسنة. العربية لسان النبوة الخاتمة.
17- عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، دار الفكر، القاهرة.
18- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط4، 1987.
19- محمد سعيد رمضان البوطي من روائع القران. مكتبة الفرابي دمشق 1977.
20- محمد عبد الله دراز – النبأ العظيم مطبعة السعادة مصر 1960.
21- محمد الصادق عرجون، الموسوعة في سماحة الإسلام، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1984، المجلد الأول.
22- محمد الغزالي، نظرات في القرآن، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر.
23- محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى 1984 القاهرة.
24- منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منشأة المعارف الإسكندرية.

الهوامش:

[1]- سيد قطب، النقد الأدبي (أصوله ومنهجه)، دار الكتب العربية، بيروت، ص 28.
[2]- عمر السلامي: الإعجاز الفني في القرآن، تونس، 1980، ص 15.
[3]- زكي نجيب محمود، فلسفة وفن، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963، ص 219.

[4]- الإعجاز الفني، ص 16.
[5]- لاسلآبركرمي، قواعد النقد الأدبي، ترجمة: محمد عوض محمد، الطبعة الثالثة، مصر، 1954، ص 46.
[6]- سيد قطب ، التصوير الفني في القران. ص 195.
[7]- سيد قطب ،المرجع السابق، ص 49.
[8]- الإعجاز الفني، ص 16.
[9]- عبد القادر عطا: عظمة القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص 37.
[10]- بالقاسم بغدادي المعجزة القرآنية. ديوان المطبوعات الجماعية الجزائرية 1992 ص 272.
[11]- بدر الدين الزركشي البرهان في علوم القران دار المعرفة بيروت.ص102
[12]- محمد سعيد رمضان البوطي من روائع القران . مكتبة الفرابي دمشق 1977 ص 176.
[13]- المرجع نفسه – ص 285.
[14]- المرجع نفسه ص 285.
[15]- محمد عبد الله دراز – النبأ العظيم مطبعة السعادة مصر 1960 ص 112.
[16]- انظر: الدكتور سليمان عشراتي: الخطاب القرآني (مقاربة توصيفية لجماليات السرد الإعجازي) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 8-9-10.
[17]- انظر:عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الشام للتراث، ص 24.
[18]- انظر: د/ سليمان عشراتي: الخطاب القرآني، ص 11.
[19]- البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي)،صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق مصطفى ديبالبغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422 هـ ، ج1، ص 6.
[20]- أنظر: ابن الكثير، البداية و النهاية. مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1991، ج3، ص7.
[21]- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة العاشرة، ج6، ص 3536.
[22]- عبد القادر عطا، عظمة القران، ص55.
[23]- صحيح البخاري، ج6، ص 182.
[24]- انظر:محمد الصادق عرجون، الموسوعة في سماحة الإسلام، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1984، المجلد الأول، ص 42.
[25]- انظر: د/ عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، دار الفكر، القاهرة، ص 425.

[26]- أحمد سيد محمد عمار، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، دار الفكر المعاصر، لبنان، ودار الفكر، سوريا، الطبعة الأولى، 1998.

[27]- جلال الدين السيوطي، المزهر في اللغة والأدب، تحقيق: المولى البيجاوي، وأبي الفضل إبراهيم، المطبعة العصرية، بيروت، لبنان، ج2، ص 326.

[28]- محمد الغزالي، نظرات في القرآن، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ص 28.

[29]- يقصد قوله تعالى: "بلسان عربي مبين الشعراء" 195.

[30]- أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سركين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1، ص 8.

[31]- محمد محمد أبو موسى، الاعجاز البلاغي، مكتبة وهبة، الطبعة الاولى 1984 القاهرة ص 20.

[32]- أحمد سيد محمد عمار، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، ص 30.

[33]- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ص 22-23.

[34]- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، المطبعة العصرية، بيروت، 1990، ج1، ص 296.

[35]- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد الصقر، دار المعارف، الطبعة الخامسة، ص 254.

[36]- منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منشأة المعارف الإسكندرية، ص 40-41.

[37]- انظر مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط4، 1987، ص 63.

[38]- انظر: عبد القادر عطا، عظمة القرآن، ص 56.

[39]- المرجع نفسه، ص 57.

[40]- عمر عبيد حسنة. العربية لسان النبوة الخاتمة. ص43 .

[41]- المرج نفسه. ص44.

[42]- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن. شرحه و نشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1981، ص 167.